مساهمة حمدان خوجة في النهضة العربية الإسلامية

د. رابح مراجي*

إن المرحلة التي عاش فيها حمدان بن عثمان خوجة (1773-1841)م هي مرحلة حاسمة في تاريخ البشرية، حيث عرف العالم تحولا كبيرا في مرحلة من مراحله، و هي مرحلة النهضة، وقد سارعت الدول العربية على لسان مفكريها إلى المساهمة في هذه المرحلة، ولم يخرج الفكر الجزائري عند مواكبة ما تدعو إليه هذه المرحلة، باعتباره جزءا لا يتجزأ من العالم العربي، حيث ساهم هو الآخر في معالجة القضايا المتعلقة بكيفية النهوض بالمجتمع.

والذي قاد هذا التجديد أو التحديث أو ما يعرف بسؤال النهضة، هو العلامة والحكيم الكرغلي الذي يحسب على الجزائر أكثر مما يحسب على الدولة العثمانية،

* قسم الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

كونه عاش في الجزائر ويتأسف كثيرا لما قد يحل أو حل بالجزائر والجزائريين، فهو يخاطب في بعض الأحيان الجزائر بقوله وطني، بلدي، وعن سكانها أهلي...

وقد طرحت في هذه المرحلة أهم قضية وتساؤل غيرت بعضا من الحالة التي كانت تعيشها الدول العربية، والتي كانت تئن تحت الإستعمار الغربي، ألا وهي: كيف يمكن النهوض بالعالم الإسلامي؟ وما هي الوسائل الممكنة التي يجب اتباعها حتى نحقق النهوض؟ وحيال هذا الطرح، انقسم المفكرون إلى طائفتين:

واحدة تدعو إلى العلمانية والعقلانية نشر ما توصل إليه الغرب والاستفادة منه.

والثانية تذهب إلى بعث النهضة الإسلامية وأحيانا إلى تحقيق الخلافة الإسلامية.

ونتج عن هذا الصراع الفكري طائفة ثالثة ممثلة في حمدان خوجة تدعو إلى التوسط بين هاتين الطائفتين. وانطلاقا من ذلك يمكن طرح السؤال التالي: كيف كانت مساهمة حمدان خوجة في النهضة العربية؟ وكيف تلقى المفكرون هذه المساهمة؟

1. الإطار الفكري:

إن القارئ لمؤلفات حمدان خوجة ابتداءً من المرأة حتى اتحاف المنصفين يلاحظ بلا شك اطلاع هذه الشخصية على العلوم العقلية وخاصة الحكمية منها وعلى الرغم من أن كتاب المرآة هو كتاب يعكس تاريخ الجزائر من حيث السكان وأصلهم والثورة وأسبابها، إلا أنه يميل أكثر إلى التحليل الفلسفي.

ففي مقدمة الكتاب يذكر صراحة كلمة فلسفة أكثر من مرة، ويستشهد بأقوال الفلاسفة بالدرجة الأولى حيث يبحث في الديانات والعادات والقوانين، ومن بينها من حملات أو خلافات.

فإن مثل هذا الاختلاف في العادات والتقاليد هو الذي يكون دائما عن أساس احتقار الأمم بعضها لبعض، وبكل تأكيد فليست هذه هي الحضارة التي نريد إدخالها في إفريقيا، إن الشرقيين يعتبرون الحضارة هي إتباع الأخلاق الشاملة

والعدل إزاء الضعيف والقوي على حد سواء والمساهمة في إبعاد الإنسانية التي تشكل أسرة كبيرة واحدة[1].

يختتم حمدان مقدمة كتابه لفكرة صريحة للدلالة على أن الأسلوب الذي كتب به هذا الكتاب هو أسلوب فلسفي الذي نراه يوجه إهداء هذا الكتاب إلى أولئك الذين يفهمون هذا الأسلوب بقوله: "إن المجربين المتعودين على القضايا سيفهمون كما ينبغي هذا الأسلوب الفلسفي"[2].

وعندما نقرأ كتابه الآخر "**اتحاف المنصفين**"، فإنك تجد نفسك أمام شخص ملم بمباحث علم الكلام ويطرح أهم قضية سيطرت على عقول مفكري الإسلام إبان القرن العشرين، وهي قضية الأصالة والمعاصرة، فيكون بالتالي أن سي حمدان قد درسها وبحثها وأفاض فيها وبين موقفه من هذه الإشكالية، فإليه يعود السبق بنفسه إلى طرح هذه الإشكالية وإليه الفضل في مساهمته في وضع حل لها وإخراجها من قالب أهل السنة الذين يميلون إلى تأكيد وجهة نظرهم من الشريعة (قرآن وسنة).

غير أن ما نلاحظه عند حمدان خوجة أن فكره هو فكر متفتح على الثقافات والحضارات بمختلف أنواعها، وعنده لا فرق بين حضارة وأخرى إلا بالعمل، ولا ضير إذا أخذنا ما جربته الحضارة الإفرنجية إذا تأكد لنا صلاح ما جربوه ولم يتعارض مع الشريعة، فذلك يساعدنا ويخرجنا من دائرة التخلف ويضعنا في الطريق الصحيح، الذي نواكب به مسايرة هذه الحضارة.

ومشارب حمدان خوجة الفلسفية والفكرية يمكن حصرها في النقاط التالية:

---

[1] حمدان خوجة: المرآة، تحقيق: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982، ص 48.

[2] المرجع نفسه، ص 48.

أ. إطلاعه على ما قاله فلاسفة اليونان[1]:

حيث يذكر لفظ فلاسفة اليونان وينسب إليهم علم الطب، ولعل المشهور عند اليونان في هذا المجال هو الطبيب اليوناني "**سقراط**"[2] الذي بين أن أسباب المرض طبيعية رغم أنها كانت تنسب في تلك الفترة إلى الألوهية.

إضافة إلى هذا فإن بعض الأفكار لها ما يشابها في فكر "سقراط" و"أرسطو طاليس" وهي المتعلقة بالتوسط في قولهم "الفضلية وسط بين رذيلتين".

ويستشهد "حمدان" بكلام الفلاسفة، حيث جاء في كتاب "**المرآة**" قوله: "قال أحد الفلاسفة..."[3].

ب. إطلاعه وتأثره بالفلسفة الإسلامية:

رغم أن "حمدان" كرغلي إلا أنه في فلسفته يبدو بصورة جلية وواضحة أن اتبع أهل السنة والجماعة، وإذا أردنا تحديد من هم أهل السنة فإننا نقول أنه أشعري، وتتجلى أشعريته في مقدمة كتاب "**اتحاف المنصفين**" حين بحث إشكالنا: الأسباب وحرية الإرادة، التأثير.

وقد عالج هذه الإشكاليات معالجة مدرسة الأشعرية، حيث بين أن الأسباب وحرية الإرادة والتأثير كلها تعود للشارع، فالشارع هو مرتب الأسباب والعلل ولكنها ليست مؤثرة بذاتها وإنما التأثير يعود إليه عز وجل[4].

---

[1] حمدان خوجة: إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية، الجزائر، 1968، ص 70.

[2] هو بقراط بن إيراقليس، وهو وحيد دهره الكامل الفاضل المبين المعلم لسائر الأشياء الذي يضرب به المثل، الطبيب الفيلسوف، وبلغ به الأمر إلى أن عبده الناس، وهو أول من علم الغرباء الطب، لما خاف عن الطب أن يفنى من العالم، كتاب الفهرست لابن نديم، دار المعرفة، بيروت، ص 400.

[3] حمدان خوجة: إتحاف المنصفين، ص47.

[4] حمدان خوجة: إتحاف المنصفين، ص 43-57.

كما أن سي حمدان مطلع على الفكر الإسلامي، وخاصة فكر "أبي حامد الغزلي"[1] ليثبت قضية أو تفنيدها، وهذا ما يؤكد انتماؤه للأشعرية؛ إضافة إلى هذا فإن سي حمدان على اطلاع بالفكر الإسلامي فهو يذكر بعض الشخصيات الفكرية الإسلامية مثل "ابن عطا الله السكندري"، "أبو الحسن الشاذلي"، "داود الأنطاكي" وغيرهم[2].

أما من حيث انتمائه الفقهي، فإن سي حمدان ينتمي إلى المذهب الحنفي الذي كان سائدا في تلك الفترة، وهو مذهب العثمانيين، وأتباع هذا المذهب إنما جاد بحكم تواجده في منطقة الشام حيث اختصت بهذا الاتجاه الفقهي على يد "أبو حنيفة النعمان" (150هـ).

ويبدو جليا أن توزع "سي حمدان" بين مذهبين كلامي وفقهي مختلفين نوعا ما، حين نجد أن مدرسة أهل الرأي تنسب إلى "أبي حنيفة" ومدرسة الحديث تنسب إلى "مالك".

نقول أن هذا التنوع في فكر "حمدان خوجة" وارتوائه من مشارب متعددة ومتنوعة في الفكر الإسلامي، جعلت منه يؤلف بين هذه الاتجاهات ويخرج بفكر يجمع بين التحرر والتقيد، بين الأخذ بما توصلت إليه الحضارات الإفرنجية وبين ما تدعو إليه الشريعة.

2. التجديد عند حمدان خوجة:

عاش سي حمدان في فترة عرفت بالركود الثقافي من جهة، ومن جهة ثانية عرفت كذلك تحولات في المجتمع الجزائري، وذلك عقب دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر.

[1] المرجع نفسه، ص 62-75.
[2] المرجع نفسه، ص 72.

ومن هنا بدأت الإشكالية تطرح على الساسة والفقهاء وخاصة الفقهاء باعتبارهم القائمين على أمور الدين وموجهين العباد إلى طريق الحق والخير.

كيف يمكن التعامل مع الوافد الجديد؟ هل تعاملنا معه يتعارض وقوانين الشريعة ؟ وهل مقاطعته يؤدي إلى استقلال البلاد؟

ولقد كان رأي أهل الدين من فقهاء وأئمة وغيرهم أنهم يقاطعون التعامل مع الاستعمار الفرنسي لأن التعامل معه يدخل في إطار التحريم باعتبار أن ديانتهم تختلف عن ديانتنا وعاداتهم وتقاليدهم غير عاداتنا وتقاليدنا، وأن معبودهم غير معبودنا، لذلك يقول حمدان خوجة : "... وإذا رأيت الخلل الداخل على المسلمين بإهمال هذه القواعد وإنكارها والتزام التقشف والتعصب، في عدم دفع المضرة، وملاحظة أغوارها من كثير مما ابتكره الفرنج بدعواهم واشتهرت نسبته إليهم مما يتعلق بأمر دنياهم حتى شدد بعضهم النكير على الذين يستحسنونها، وعدوا ما يطرأ لهم من المضرة قربة يحسبونها"[1].

يتبين من هذا النص أن سي حمدان يطرح إشكالية موقف المسلمين من العلوم الغربية.

وانتهى من خلال هذا الطرح أن غالبيتهم تدعو إلى عدم الأخذ مما توصل إليه الغرب (الفرنج) بل وشدد بعضهم النكير على مستحسنيها وتبدو هنا صفة التعصب، وهذا في رأي سي حمدان هدم للبناء الإسلامي كقوة بشرية واقتصادية واجتماعية لأن التوسط في الأمور والاعتدال هو الركن الأقوى، يعد خصلة رحيمة لقوله -صلى الله عليه وسلم- : "**لا ضرر ولا ضرار**".

[1] حمدان خوجة: إتحاف المنصفين، ص 44-45.

إضافة إلى هذا فإن أقوال الحكمة وأفعالها لا يستنكف العاقل عن اقتنائها لصفة من فعلها أو قالها بل يبادر للحق وقبوله واستجلاب النفع[1] مصداقا لقول الرسول ﷺ "**الحكمة ضالة المؤمن**".

ولعلّ السبب الذي أدى بالمسلمين إلى إنكار العلوم الإفرنجية يعود لقولهم التأثير والفعل للأسباب، غير أن هذا السبب يعد غير كاف في نظر حمدان وإنما هو مجرد ذريعة وتعصب وسبب لعدم الأخذ بما توصل إليه الفرنجة "وأيم الله إنه للغلط والمبالغة في التعصب فقط"[2].

والحقيقة أن سي حمدان لم يكن راض بهذا الرأي وهو الابتعاد وعدم الأخذ بما توصل إليه الفرنجة من العلوم والفنون، لأن العزوف عن هذه النتائج هو تأخر المسلمين وتقدم غيرهم، كما أن الابتعاد عنها يساعد العدو على غزونا فتزداد قوته وتضعف قوتنا.

ويؤكد سي حمدان على هذا الأمر من خلال ما لاحظه أثناء أسفاره التي كان يقوم بها في بلاد الفرنجة من انتظام أمورهم واعتنائهم بأمور السياسة في صيانة جمهورهم، بالتزامهم دفع الوباء عن طريق الوقاية مما جربوه حيث اتبعوا في ذلك الاحتماء والاحتراز والاستقراء للداخلين إليهم ولا يسمح لهم بالدخول إلا بعد الشفاء والاستبراد، وحكموا على تلك الأماكن أناس يقومون عليها وسموها بـ "الكرنتينة"[3].

[1] المرجع نفسه، ص 44.

[2] المرجع نفسه، ص 46.

[3] الكرنتينة، محجر صحي يحجر من كان مريضا مرضا معديا أو مشكوكا في مرضه، ويعزل لمدة 40 يوما بما يحمل عند دخوله حدود البلد.

وهذا العمل الناجح الذي توصل وعمل به الفرنجة وأدى إلى نتائج حسنة وطيبة، كان على المسلمين أن يأخذوا به، لنجاعته وفائدته وكذلك لأنه لا يمس ديانتهم إذ يقول: "وأيم الله إن للغلط والمبالغة من التعصب فقط، إذ لا تستباح نفوس نوع بني آدم مع التمكن من صيانتهم بسبق الكفار إلى هذا الاحتياط الواجب وهو لا يتعلق بديانتهم"[1].

ومن نتائج هذا الاحتماء ما يلي:

- توارثوا الصنائع المهمة وزاد فيها آخرهم عن الأول.
- زاد عمرهم حتى ظنوا أن لهم عمرا طبيعيا يبلغونه.
- توفرت عساكرهم ومناصبهم وعليها المعول في الحروب.

ولقد شهد سي حمدان وقوع الوباء بالجزائر مرات، وهي مدة كافية للقضاء على العباد، حيث يقول: "فشوهت خلقة الجزائر بعد عذراء مستحسنة، فاقفرت معالم البلاد، وتشوشت أحوال العباد واضمحل العلم و دوو الاستعداد وانقرض من العساكر من كان عدة في العمران والفلوات"[2].

فلو أخذنا بما توصل إليه الفرنجة من تقدم في العلوم والفنون لما توصل بنا الحال لأن نصاب في شعبنا واقتصادنا وكل ما يمس بصورة بلدنا الحسنة، وأن الأخذ من هذه الحضارات إنما مبناه أن الحضارات تتعاقب الواحدة تلو الأخرى في السيطرة على قيادة العالم.

وأن هناك حضارات تعرف بالمركز والحضارات تعرف بالأطراف، حيث موقعها في الأطراف، وهنا يكون أثر الحضارة المركزية على الحضارات الموجودة في الأطراف الأخيرة من الأولى ولا ضرر في ذلك إذ يأخذ الجاهل من المتعلم قصد بناء فكر

[1] حمدان خوجة: إتحاف المنصفين، ص 46.
[2] المرجع نفسه، ص 47.

وحضارة تضاهي تلك الحضارة التي أخذ منها، ألم يأخذ الغرب من الحضارة الإسلامية؟ ثم عمل على تطويرها حتى صارت حضارته هي المركز وحضارتنا هي الأطراف.

وهذا التعاقب الحضاري منذ الحضارة اليونانية وانتقالها إلى العالم الإسلامي ثم إلى العالم المسيحي أدى إلى تطور حضارة وانكماش حضارة أخرى، ولذلك يقول سي حمدان: "لا يقتضي اختصاصها بالعرب لأنه مفهوم اللقب، ولا معتبر به، ولكون سمية السموم، ومنفعة كثير من الأدوية، تثبت عند اليونان وهم الفلاسفة وأقرها الشراع، ثم عربت كتبهم ودونت ووقع الإجماع على جواز العمل بتلك الأدوية، فثبت أن أصل ثبوت التجربة لا يتوقف على الإسلام ولا على العدالة بل كما قال عليه الصلاة والسلام: "**الحكمة ضالة المؤمن، بأخذها أينما وجدها**"[1].

فالأخذ بتجارب الأمم لا يتعارض والشريعة الإسلامية حيث أن تابعي التابعين قد أخذوا بما كتب فلاسفة اليونان حين ترجمت هذه الكتب ابتداء من قيام الدولة الأموية (40-132هـ) حتى وقتنا هذا، وأول من قام بهذه الترجمة هو "يزيد بن معاوية" المتوفي سنة 84هـ.

وكانت الترجمة في بداية الأمر منصبة على كتب الصنعة (طب، فلك، صيدلة وغيرها) لأن المسلمين في حاجة لهذه العلوم قصد توظيفها في حياتهم اليومية[2].

أما العلوم الأخرى المتمثلة في الفلسفة فتلك التي كان عليها مدار الخلاف بين الفقهاء وتأخر دخولها إلى حوالي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، ثم كانت السيادة والريادة للمسلمين بعد تقهقر اليونان، وسبب تقدمهم هو عدم إقصاء الحضارات التي نبغت في العلوم والفنون، فنهلوا منها وبنوا علمهم فأحسنوا البناء،

[1] المرجع نفسه، ص 70.

[2] رابح مراجي: التعليل "دراسة في علم أصول الفقه"، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1992، ص 73.

وأسسوا حضارة لم تضاهيها حضارة في تلك الفترة، بل نقول أن عمر الحضارة الإسلامية قد عمر أكثر من الحضارة اليونانية وظهر أثرها في فلاسفة وعلماء الحضارة الفرنجية أثناء نهوضها نحو القرن الرابع عشر الميلادي بعد وفاة آخر الفلاسفة المسلمين.

ولذلك يقول سي حمدان: "لا مجال لإنكار كون الفرنج في زماننا وقبله، قد تمهروا العلوم الرياضية والطبيعية والصناعية مع عدم تقيدهم بما يتعلق بأمر آخر أهم وخصوصا الطب والنجوم والهندسة وكثير من العمليات حتى صار ذلك كالمختص بهم، مع إقرارهم بأن مأخذهم لذلك كان كتب الإسلام، ثم زادوا عليها ما صح عندهم بالتجربة والمشاهدة"[1].

إذن فكما أخذ المسلمون سر علوم اليونان فإن الفرنجة قد أخذوا من علوم المسلمين، ولم يكتفوا بذلك بل زادوا عليها ما خبروه بالتجربة والمشاهدة وليس في هذا الأمر حرج خصوصا إذا علمنا أن علماء الإسلام من فقهاء وذوي الرياسة قد استعانوا ببعض العلماء من الديانات غير الإسلامية. "وانظر ما ذكره الشيخ ابن عطا الله في كتاب "**لطائف المتن**" من قصد الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه للطبيب النصراني[2]".[3]

وهذه الدعوة التجديدية من طرف سي حمدان في المغرب الأقصى في فترة حياته في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر قد ساعدت كثيرا في

---

[1] المصدر نفسه، ص 72-73.

[2] وقيل الطبيب اليهودي، لأن هذه القصة وقعت للشاذلي مع طبيب يهودي، حيث استدعى الشاذلي الطبيب اليهودي ليداوي من عنده، فامتنع اليهودي بحجة ممانعة مشارق الطب بالقاهرة إلا بإذن، ولم يتوان الشيخ الشاذلي عن إتيانه بالإذن من القاهرة فشد الرحال لذلك وأتى له بما سمح بممارسة عمله كطبيب، فتعجب الطبيب من هذا الخلق الكريم.

[3] حمدان خوجه، اتحاف المنصفين، ص 74.

الخروج عن تلك النظرة الضيقة التي فرضها بعض الفقهاء المتشددين والمتعصبين حيال العلوم والفنون الفرنجية.

وقد بني هذا الأمر على كثير من الحجج والبراهين، استقاها من الشريعة والسلف الصالح والعلماء، وكثيرا ما استشهد بآراء للغزالي الذي دافع عن الفلسفة والمنطق وأن من أخذ بهما لا يعد كافرا ولا ناكرا لدين الإسلام، لأن الشرع لم يتعرض لهذه العلوم بالإثبات أو النفي، كما أن هذه العلوم لا تخالف الأمور الدينية.

فلماذا إذن التحريم وعدم الأخذ بما لا يتعارض والأمور الدينية، ولا يقف حائلا عن تطور الحياة الدنيوية ؟

وعلاجه لهذه الإشكالية جاء نتيجة الوضعية التي آل إليها المجتمع الجزائري كونه مجتمعا مستعمرا ويعاني التخلف والتهميش نظرا لتفادي بعض الفقهاء بعدم الأخذ بعلوم الفرنجة وما ينتجونه في مختلف أنواع المعرفة، وهو هذا الطرح والعلاج لهذه الإشكالية ويكون قد سبق علماء المشرق أمثال "الطهطاوي" في كتابه "**تبريز الإبريز في وصف القاهرة وباريز**"، و"شبلي شميل" في رسالته "**شكوى وأمل**"، و"رشيد رضا (1935)"، "سلامة موسى" وغيرهم كثير ممن كان يدعو إلى النظر في العلوم الغربية والنهل منها.

وإذا أردنا التركيز أكثر وأخذنا عينة من مؤلفات بعض هؤلاء العلماء المشارقة بالدراسة والمقارنة، لا نجد أفض من رسالة شبلي شميل التي تحمل عنوان "**شكوى الأمل**" وهي رسالة موجهة لجلالة السلطان "عبد الحميد خان" حيث افتتح هذه الرسالة بالتحية مبينا الأسباب التي دفعت به إلى كتابتها "أتجاسر بأن أرفع إلى حفاوة جلالتكم كتاب يشرح لكم آمال الأمة ويبسط لكم طلاقتها فأتوسل إليكم أيها السلطان المعظم أن تمعنوا النظر فيه، لأنه صادر من عبد مخلص لسلطان حريص على وطنه، عالم بأحوال أمته... وإنما قصدي الوحيد أن استلفت نظر

جلالتكم إلى الأخطار التي تتهدد المملكة من داخل ومن خارج لتداركها ما دام الأمر في الإمكان"[1].

ثم يطرح "شبلي شميل" الإشكالية وهي : لماذا تقدم غيرنا وتأخرنا نحن ؟

ويجيب في هذا الإشكال بأن السبب لا يعود إلى طبائع السكان لأننا نملك بنية صحية قوية، ولا إلى تغلب دين على دين، لأن نجاح المسلمين في العصور الخالية جاء نتيجة "اهتمام الملوك بحماية العلوم وإقامة العدل وتقربهم من الرعية لسماع نصيحة رعاياهم ولو أنهم من عامة الشعب"[2].

وإذا بحثنا في الأسباب التي أدت إلى تقدم الدول المعاصرة من أهل أوروبا وبلوغها الغية القصوى من الحضارة، فإننا نجدها لا تخرج عن أسباب ثلاث هي : العلم، العدل، الحرية، والابتعاد عن هذه الأسس الثلاث لا يعتبر ملك ولا تسود أمة إذ لا عدل من دون حرية، ولا علم من دون عدل، وإذا فقد العلم لم يبق قوة لأن القوة متوقفة على الثورة، ومصادر الثروة ثلاثة : الزراعية، التجارة والصناعة وهي متوقفة في نجاحها على العلم[3].

وهكذا جعل شبلي شميل العلم على رأس هذه الأسباب ولا عيب إذا تسلحنا بالعلم من الحضارت التي تملك هذه القدرة على إصلاح حال البلاد والعباد إنما يكون بإصلاح شؤوننا الداخلية إصلاحا حقيقيا بالفعل لا بالقول، وذلك بنشر العلم في البلاد على أسلوب يقترب من طوائف الأمة حتى تصبح قلبا واحدا من

[1] المصدر نفسه، ص 74.
[2] شبلي شميل: شكوى وأمل، مخطوط، ص 2.
[3] المصدر نفسه، ص 4.

محبة الوطن والسلطان وبأن تنظر إلى أبناء الوطن كأنهم شعب واحد بقطع النظر عن أديانهم ومذاهبهم وبإقامة العدل بين الناس حتى يتساوى الجميع[1].

ولم يقف الأمر في الدعوة إلى الأخذ بالمدنية الغربية عند شبلي شميل بل تعداه إلى سلامة موسى (1958) الذي كان كافرا بالشرق مؤمنا بالغرب، إذ يقول في كتابه "**ما هي شروط النهضة**" "في مصلحتنا ومصلحة العالم كله أن نغرس في آذان جميع العرب في مصر والعراق وسوريا وشمال إفريقيا أنهم أوروبيون سلالة وثقافة وحضارة، وعليهم أن يسيروا مع أرقى الشعوب الأوروبية يثقفون ثقافتهم ويتعودون عاداتهم"[2].

ونستنتج من هذا أن هذه الثورة على الأوضاع العربية من قبل مفكريها كان بسبب ذلك التخلف الذي تعانيه الأمة العربية والإسلامية والتعنت من عدم مسايرة ما وصلت إليه الحضارة الأوروبية من تقدم ورقي في جميع المجالات، فكانت إذن الثورة قائمة على عاملين أساسيين إعجابا بهما، هما:

1- العلم

2- الحكم الدستوري

والعامل الذي يجمع بين هؤلاء الثلاثة (حمدان خوجة، شبلي شميل، سلامة موسى) هو حبهم للعلم، ونظرتهم إليه على أنه يقود الأمة إلى النجاح والتقدم والازدهار، لذلك يركزون على هذا العنصر أكثر من غيره من العناصر لأنها مبنية عليه.

وقد سبق رفاعة رفعت الطهطاوي (1873) كل من شبلي شميل وسلامة موسى إلى الدعوة بالأخذ بالمدنية الغربية وذلك من خلال كتابه "تبريز الأبريز في

[1] المصدر نفسه، ص 4.

[2] المصدر نفسه، ص 16.

وصف القاهرة وباريز"، حيث بين إعجابه الشديد بما توصلت إليه فرنسا من حسن تنظيم واهتمام بالعلم والثقافة وغيرها.

وحدا عبد الحميد بن باديس حدو هؤلاء المفكرين الداعين لتجديد الفكر الإسلامي، والذين يعدون من رواد التنوير العربي، حيث أدرك أن للحضارة دورات، وأن أوروبا تأثرت بالعلم والمعرفة العربية في العصور الوسطى، لذلك نراه يؤكد أن المدينة الإسلامية نقلت أصول المدنيات السابقة نقل الأمين ونخلتها نخل الناقد البصير، "وزادت عليها من نتائج أفكار وثمار أعمالها ما كان الأساس المتين لمدينة اليوم"[1].

ثم يضيف قائلا: "الإسلام هو أبو المدنية أمس واليوم وأعني بمدنية اليوم المدنية من جهة العلم والعمران لا من جهة الأخلاق والاجتماع فهناك ما يتبرأ منه الإسلام"[2].

ومن هنا انطلقت دعوته إلى أن نأخذ العلم من حيث انتهت أوروبا وهي دعوة لا يداريها عندما دعا الشباب إلى أخذ العلم بأي لسان كان وعن أي شخص وجدتموه وأن تطبعوه بطابعنا ننتفع به الانتفاع المطلوب كما أخذه الأوروبيون من أجدادنا وطبعوه بطابعهم النصراني وانتفعوا به"[3].

[1] عمار طالبي: ابن باديس حياته وآثاره، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 483.

[2] المرجع نفسه، ص 3-508.

[3] سيد عشماوي: الموقف من الغرب الأوروبي من خلال كتابات عبد الحميد بن باديس، مقال نشر بمجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد1، سنة 1992، ص 122.